مفهوم
الرحمة والعدل الالهي

{١} مار إسحق السرياني	{٢} قديسون أخرون	

{١}
مار إسحق السرياني

🕮 كحفنة رملٍ وقعت في بحر عظيم، هكذا خطايا البشر بالقياس إلى ينبوع رحمة الله، وكما أن العين التي تفيض مياهاً غزيرة لا يمكن أن تنسد بحفنة تراب، هكذا ذنوب البرايا لا تغلب رحمة الخالق تعالى.

🕮 كن كارزاً ومنادياً بصلاح الله، إذ أنه يسوس أمورك رغم عدم استحقاقك لذلك، ومع أنك مدين له بالكثير، فهو لا يطالبك بشيء، بل إنه يكافئك بالأمور العظيمة عن أعمالك الصغيرة التي تعملها، لا تَدْعُ الله تعالى عادلاً، لأن عدله غير ظاهر في الأمور التي تخصك.

🕮 وإن كان داود النبي سماه عادلاً ومستقيماً، إلا أن ابنه عزَّ وجلَّ أظهر لنا أنه جوَّاد جداً وصالح، فهو يقول إنه صالح للأشرار والمنافقين، وكيف تسمي الله عادلاً إذا كنتَ قد قرأتَ ما قاله عن أجرة الفَعَلَة؟ «يا صاحب، أنا ما ظلمتك، إني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك، فإن كانت عينك خبيثة، إلا أني أنا جوَّاد».



📖 وكيف يمكن أن تدعوه عادلاً إذا ما قرأتَ أيضاً فصل الابن الشاطر الذي بذَّر غناه في الجهالة، كيف بما أظهره من الخشوع فقط، أسرع إليه أبوه واستلقى على عنقه وقبَّله، وأعطاه سلطاناً على كل مقتنياته؟ ولم يذكر هذه الأمور عنه شخص آخر حتى تتشكك فيها، بل ابنه نفسه قد شهد بذلك، فأين إذاً هو عدل الله إذ ونحن بعدُ خطاة مات المسيح عنا! فإن كان ههنا رحيماً، فنحن نؤمن أنه لن يتغير أبداً.

📖 حاشا لنا أن نفكر هذا النفاق، {بقولنا إن الله يمكن أن يكون عديم الرحمة}، إذا كانت خاصية الله لا تتحول كما هو الحال عند الأموات، لأن الله لا يقتني شيئاً لم يملكه، ولا يفقد شيئاً كان عنده، ولا يضيف شيئاً إلى ما هو عنده، كالمخلوقات، فكل ما هو له من البدء هو معه لا يفارقه إلى الأبد.

📖 هلموا يا ذوي التمييز، وتعجَّبوا! ويا ذوي القلب الحكيم لنعجب من جود بارينا كما يليق! إذ جازى المجرمين عوض المجازاة العادلة، بالقيامة من الأموات، وألبسهم بدل تلك الأجساد التي داسوا بها ناموسه، مجد الكمال، هذه هي النعمة العظمى، أعني إقامته إيانا بعد هفواتنا، وإنها لأَجلّ من تلك النعمة، أعني إبداعنا من العدم.

📖 إن زلات الجسد بإزاء تدبير الله ورحمته، تشبه حفنة من تراب مرمية في بحر كبير. وكما أنه لا يمكن سد ينبوع فائض بغزارة بحفنة واحدة من التراب، لا يمكن أن تغلب شرور المخلوقات عظمة رأفة الله.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثامنة والخمسون ـ صفحة ٢١٢

📖 كن كارزاً بصلاح الله، وهو يحفظك، رغم عدم استحقاقك. ولا يطالبك بشيء، مع إنك مدين له بكل شيء، بل يكافئك بالكثير على أعمالك الصغيرة.

📖 لا تَدْعُ الله عادلاً، لأن عدالته ليست ظاهرة في أعمالك. إن داود قد دعاه عادلاً ومستقيماً، لكن ابن الله أظهر أنه بالأحرى صالح ووديع، وقال: "إنه ينعم على ناكري الجميل والأشرار" (لو ٦: ٣٥).

📖 وكيف تدعوه عادلاً إذا كنت قد قرأت ما - قاله عن أجرة العمال؟ "يا صديقي، أنا ما ظلمتك. خذ حقك وانصرف. فهذا الذي جاء في الآخر أريد أن أعطيه مثلك، ألا يجوز لي أن أتصرف بمالي كيفما أريد؟ أم أنت حسود لأني أنا كريم؟" (مت٢٠:١٣ - ١٥). وكيف تدعوه عادلاً وقد قرأت فصل الابن الشاطر، الذي بذر الغنى على الفجور، ثم عند ندمه، أسرع أبوه إليه، وعانقه، وسلّطه على كل شيء؟

📖 إن هذه الأقوال لم يقلها غريب حتى نشك فيها، بل الابن نفسه قد شهد بها. فأين هي عدالة الله؟

📖 أهي في أن المسيح قد مات من أجلنا ونحن خطأة؟ فما دام رحيماً إلى هذا الحد هنا (في هذه الحياة)، فلنؤمن أنه لن يتغير أبداً.

📖 حاشا أن نفكر، أو نقول، إن الله عديم الرحمة، لأن خصائصه لا تتبدل شأن المائتين. إنه لا يقتني شيئاً لم يملكه، ولا يفقد شيئاً كان عنده، ولا يضاف شيء إلى ما لديه، كما هي حال المخلوقات.

📖 كل شيء عنده هو من البدء، وسيبقى إلى الأبد اللامتناهي.

📖 كما قال المغبوط كيرلس، في شرحه لسفر التكوين: "خف من الله حباً به، وليس بسبب الاسم القاسي الملقب به". أحبه لأنه عليك أن تحبه، وليس من أجل المستقبلات التي سيمنحك إياها، بل بالأحرى على ما منحك، وخاصة هذا العالم الذي صنعه من أجلك.

📖 فمن يستطيع أن يكافئه؟ هل تظهر مكافأتنا له في أعمالنا؟

📖 وأيضاً من أقنعه في البداية أن يخرجنا إلى الوجود؟

📖 ومن يتضرع إليه من أجلنا عندما ننساه؟

ومن وهب أجسادنا الحياة، حينما لم نكن بعد في الوجود؟

كتاب نسكيات مار اسحق ـ الستون ـ صفحة ٢٢٠

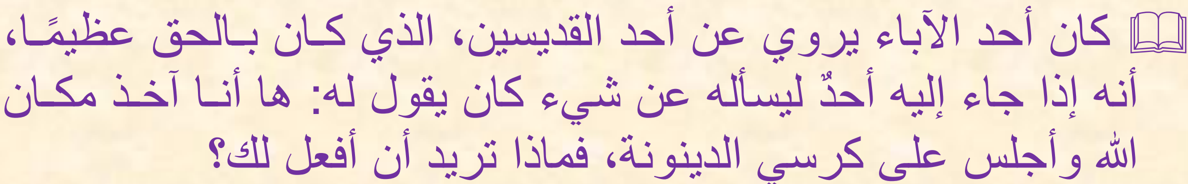
{٢}

قديسون أخرون

وقال القديس إبيفانيوس:

الله يعفو عن ديون الخطاة الذين يتوبون، مثل المرأة الخاطئة، والعشار، أما البار فهو يطلب منه حتى الفائدة، وهذا هو ما قاله لرسله: «إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات» {مت٥: ٢٠}.

كتاب فردوس الآباء ـ القديس إبيفانيوس ـ الجزء الثالث ٢٠٥



كان أحد الآباء يروي عن أحد القديسين، الذي كان بالحق عظيمًا، أنه إذا جاء إليه أحدٌ ليسأله عن شيء كان يقول له: ها أنا آخذ مكان الله وأجلس على كرسي الدينونة، فماذا تريد أن أفعل لك؟

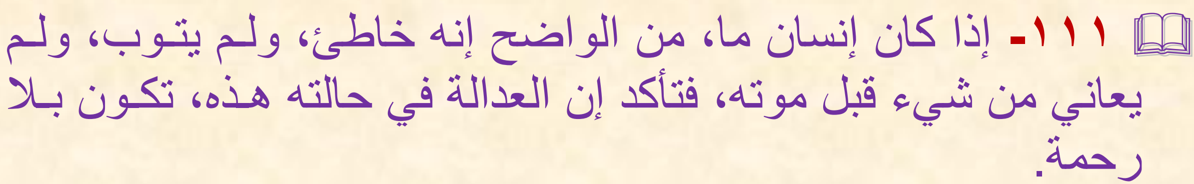
إن قلتَ: ارحمني، يقول لك الله: ارحم أخاك وأنا أرحمك.

وإذا أردتَ أن أغفر لك، فاغفر أنتَ لأخيك وأنا أغفر لك.

هل يمكن أن يُلام الله، أو يوجد فيه ظلم؟ حاشا.

ولكن إن كنا نريد أن نخلص فهذا يتوقف علينا نحن.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ قصص وأقوال الآباء غير المعروفين ـ الصفحة ٤٢٥



١١١- إذا كان إنسان ما، من الواضح إنه خاطئ، ولم يتوب، ولم يعاني من شيء قبل موته، فتأكد إن العدالة في حالته هذه، تكون بلا رحمة.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١٥



٦٧- سوف يأخذ كل واحد ما يستحقه تبعا لحالته الداخلية.



ولكن الله وحده يفهم الطرق الكثيرة المختلفة التي يحدث بها هذا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٩

٦٥- عندما تجد أن أحداثا خارجية {متعبة} تأتي إليك من خلال عدل الله، حينئذ من خلال بحثك عن الرب، تكون قد وجدت «المعرفة الروحية والعدل» {ق.م. أم١٩:١٨ س}.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٩

٦٦- متى أدركت أن أحكام الله هي «في كل الأرض» {أخ ١٦: ١٤}، حينئذ فإن كل شيء يحدث لك سوف يعلمك معرفة الله.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٢٩